

مقال مراجعة موضوع

مفهوم الجسد في الفن التشكيلي العربي المعاصر (ضياء الغزاوي وهدى العظمة انموذجاً)

م. م. إيهاب عبد الرزاق يوسف
المديرة العامة للتربية بابل
وزارة التربية

الكلمات المفتاحية: الجسد . الفن التشكيلي . التمثيلات . الهوية

الملخص:

يتطرق هذا المقال الى مراجعة مفهوم الجسد في الفن التشكيلي العربي المعاصر مع تقديم وجهة نظر نقدية شخصية. يُبرز المقال أن تمثيل الجسد في الفنون التشكيلية العربية محكوم بسياقات ثقافية واجتماعية تقيد حرية التعبير، مما يجعل الجسد موضوعاً ، ذا أبعاد متعددة تتجاوز المظهر الخارجي ليصبح حاملاً لذاكرة القمع والهوية والتوترات النفسية. تُظهر الدراسات السابقة تبايناً في تناول الجسد، حيث ركز بعضها على الجوانب التقنية والجمالية، بينما أغفلت أبعاداً نفسية وثقافية وسياسية عميقة. من وجهة النظر النقدية في المقال، يُنظر إلى الجسد كفضاء للصراع بين الحرية والرقابة، وتجسيد للانكسار والتمزق الاجتماعي، مما يحول تمثيله إلى استراتيجية فنية تعبيرية تنم عن الهوية المعقدة للإنسان العربي المعاصر. في الختام، يؤكد المقال على أهمية النظر إلى الجسد كأرشيف ثقافي حي، يتطلب دراسات نقدية متعددة الأبعاد تعزز فهمنا للذات والآخر، وتفتح آفاقاً جديدة للمقاومة والتعبير الفني في سياق التحولات الاجتماعية والسياسية في العالم العربي

المقدمة:

بات (الجسد) عبر تاريخ الفن محطّ توتر بين الجماليات والإيديولوجيا، بين الرمز والإزاحة، بين الفضاء العام والحميمية. وإذا كان الفن الغربي قد حرّر الجسد من ثقل القيم التقليدية منذ عصر النهضة، فإن الفن التشكيلي العربي ظلّ في كثير من تجلياته يتعامل مع

الجسد بوصفه موضوعاً محفوظاً بالرقابة و التابو. لكن رغم ذلك، ظهرت تجارب عربية معاصرة تعاملت مع (الجسد) بوصفه تمثيلاً للهوية، والاعتراب، والانتهاك، بل وأحياناً كأداة للثورة الصامتة. في هذا المقال، أحاول أن أقدم قراءة مراجعة لعدد من الدراسات التي تناولت تمثيلات الجسد في الفن التشكيلي العربي، مبيناً ما أراه قصوراً في مقاربتها الرمزية والاجتماعية، مقابل طرح رؤية تأملية مغايرة. ولذلك يُعدّ (الجسد) من أكثر الموضوعات إشكالية في الفن، نظراً لما ينطوي عليه من دلالات رمزية، ثقافية، ودينية. وفي حين تعامل الفن الغربي مع الجسد بوصفه مادة تشكيلية مفتوحة على الانفعال والتمرد والتجاوز، ظلّ الجسد في الفن التشكيلي العربي المعاصر محاطاً بتوترات متعددة، منها الديني والاجتماعي والسياسي، الأمر الذي جعله ميداناً خصباً للتعبير غير المباشر، أو التأويل الرمزي، أو حتى الإخفاء المتعمّد. ورغم ذلك، ظهرت تجارب تشكيلية عربية تعاملت مع (الجسد) بوصفه تمثيلاً للهوية، وفضاءً للصراع، ومراًةً للتحوّلات الاجتماعية. في هذا المقال، أقدم مراجعة تأملية لعدد من الدراسات والأعمال التشكيلية التي تناولت مفهوم (الجسد) في الفن العربي المعاصر، لا لأحلّله تحليلًا نقدياً منهجياً، بل لأطرح وجهة نظري في كيفية تمثّل هذا المفهوم، وفي حدود ما قدمته تلك الدراسات، وما أغفلته من تأويلات تتصل بالسياق الثقافي والنفسي والأنثروبولوجي. إن هدي في هنا ليس إعادة إنتاج ما كُتب، بل إعادة التفكير فيه.

خاطرة نقدية ووجهة نظر خاصة :

من وجهة نظري، لا يمكن قراءة تمثيلات (الجسد في الفن التشكيلي) العربي المعاصر بمعزل عن البنية العميقة للثقافة العربية، تلك التي لا ترى الجسد باعتباره (كائنًا بصرياً)، بل باعتباره (كائنًا أخلاقياً). إن (الجسد) في المخيال العربي مشحون بالرموز، ومثقل بالممنوعات، ومحكوم بترانبيات السلطة _سواء كانت سلطة الدين، أو العائلة، أو النظام السياسي _ ولهذا، فإن كل محاولة تشكيلية لتمثيل (الجسد) هي، في جوهرها، مفاوضة مستترة مع هذا الإرث الثقيل. ما لاحظته في كثير من الأعمال التشكيلية العربية، أن (الجسد) يُستدعى لا يُعرّض، بل يُخفي ما هو أعمق: (الجرح، الصمت، الصرخة المكبوتة، الألم، البوح المخفي). ولهذا لا يُرسم (الجسد) غالباً بوصفه كياناً مكتمل الملامح، بل كظلّ، أو تشويه، أو انكسار في الخطوط. إن هذا التمثيل ليس ضعفاً فنيّاً، بل هو تجسيد دقيق لجسد (مقموعة ذاكرته)، جسد لا يُمنح الحق في التعبير، بل يتحرك داخل إطار من الرقابة الداخلية التي يمارسها الفنان على ذاته قبل أن يمارسها المجتمع عليه. وكما أرى أن معظم الدراسات التي تناولت (الجسد) ركّزت إمّا على الأبعاد

الجمالية أو على المقارنات مع الغرب، وأغفلت قراءة (الجسد) بوصفه نصًا ثقافيًا، يختزن التوترات بين (الذات والسلطة)، بين (الرغبة والتحریم). ففي العالم العربي، لا يكون الجسد مجرد موضوع للفن، بل يتحوّل إلى مرآة للسلطة، ومجالاً للمقاومة الصامتة، وهنا تكمن خصوصيته. ولعلّ اللافت في تجارب بعض الفنانين المعاصرين _ مثل العراقي ضياء العزاوي أو السورية هدى العظمة _ أنهم تجاوزوا الجسد كمادة مرئية، وتعاملوا معه ك: (أثر) ، وكحضور مشوّه أو مهدد بالغياب. هذه الرؤية تضعنا أمام سؤال أعمق: هل الجسد العربي في الفن هو جسد غائب؟ جسد يبحث عن نفسه داخل عالم فقد فيه القدرة على الكلام؟. بالإضافة إلى أني أؤكد على أن الجسد في هذا السياق يشكل أرضية حيوية لفهم التوترات بين الحداثة والمحافظة، حيث يحاول الفنانون إعادة صياغة الجسد بأساليب تتحدى التصنيفات التقليدية، مستعينين بالرموز، والتجريد، والتشويه، للتعبير عن هوية متعددة الأبعاد. هذه الهوية لا تتحدد فقط بالجسد البيولوجي، بل تمتد لتشمل الجسد الثقافي والسياسي والاجتماعي، ما يجعل من كل عمل في قراءة معقدة لماهية الإنسان العربي المعاصر. وأخيرًا، أعتقد أن أهمية النظر إلى (الجسد) كأرشيف ثقافي يحمل ذاكرة القمع والمعاناة، بالإضافة إلى ذاكرة المقاومة والصمود، تفتح آفاقًا نقدية جديدة تساعد على تجاوز التصورات السطحية والجمود الفكري في دراسة الفن التشكيلي العربي. فالفن، من هذا المنظور، يصبح فضاءً للتجاوز المفتوح بين (الذات والآخر)، ويشكل منصة نقدية لتفكيك الخطابات الرسمية والمهيمنة التي تحاصر التعبير عن الجسد والهوية

الخاتمة:

ليس (الجسد) في الفن التشكيلي العربي المعاصر مجرد موضوع بصري وفيزيائي، بل هو تمثيل متعدد الطبقات لمعركة طويلة بين ثنائيات ضدية لا سيما: (التعبير / القمع)، (الرغبة / السلطة)، (الكشف / الستر). لقد كشفت المراجعة السريعة للدراسات السابقة عن حضور خجول لمفهوم (الجسد) كأداة ثقافية مشحونة بالمعنى، واكتفت معظمها بتناوله ضمن أطر شكلية أو جمالية، أو بتقليد النموذج الغربي دون مساءلة جذور التمثيل المحلي. أما من وجهة نظري، فإن (الجسد) في الفن العربي ليس مرئيًا بقدر ما هو محسوس جسد : هشّ، مهدد، مرّمز، يعيش دائمًا تحت وطأة الخوف أو الخجل أو الرقابة. ومهمة الفن ليست فقط إظهاره، بل تفكيك الصمت الذي يحيط به. إن إعادة التفكير في الجسد ك: أرشيف ثقافي وحامل لذاكرة القمع قد تفتح أفقًا جديدًا أمام قراءة الفن التشكيلي العربي، ليس بوصفه مساحة جمالية

فقط، بل بوصفه ساحةً للنقد والمقاومة والمساءلة. إن إعادة التفكير في الجسد ضمن الفن التشكيلي العربي المعاصر ليست مجرد مراجعة لمظاهر خارجية أو تقنيات فنية، بل هي دعوة لفهم أعمق للتفاعلات المعقدة بين الفرد والمجتمع، بين الحرية والرقابة، وبين التاريخ والحداثة. (الجسد) هنا يتجاوز كونه موضوعًا بصريًا ليصبح شاهدًا على التحولات السياسية والاجتماعية والثقافية التي يعايشها العالم العربي اليوم. كما أن النظر إلى (الجسد) كفضاء للحكي والذاكرة يضع الفن التشكيلي في موقع استثنائي، حيث يتجسد الفن كوسيلة للمقاومة والتحدي وإعادة البناء الذاتي، لا سيما في ظل الأزمات المتعددة التي تمر بها المجتمعات العربية. ومن هذا المنطلق، فإن دراسة الجسد في الفن التشكيلي العربي تفتح أبوابًا لفهم أعمق لديناميات (الهوية) و(الذات) و(الآخر). ولذلك، فإن التوجه المستقبلي في الدراسات الفنية العربية يجب أن يركز على بناء قراءات نقدية متعددة الأبعاد للجسد، تأخذ في الاعتبار أبعاده النفسية والاجتماعية والسياسية، وتتعامل معه بوصفه نصًا ثقافيًا حيًا قادرًا على إعادة صياغة الواقع والتأثير فيه. بهذا الفهم، يصبح الجسد أكثر من مجرد موضوع أو شكل فني؛ إنه مساحة للتححرر، وفضاء لإعادة التفاوض على القيم، ومنبرًا لصوت جديد ينبعث من عمق التجربة العربية المعاصرة.

قائمة المراجع:

1. عبد الكريم السيد، الجسد العربي بين التمثيل والتحوير، مجلة: الفنون التشكيلية المعاصرة، العدد 15، بيروت، 2016.
2. نجوى بركات، كاتالوغ معرض الأجساد الهاربة، دار الفنون، بيروت، 2019.
3. ضياء العزاوي، كاتالوغ معرض تمزقات الذاكرة، متحف الفن العربي الحديث، الدوحة، 2020.
4. هدى العظيمة، مداخلة بعنوان الجسد بوصفه مسرحاً للهوية، ندوة الفن والجنود في العالم العربي، الجامعة الأمريكية في بيروت، 2021.
5. رشيد بوطيب، سؤال الجسد في الفكر العربي المعاصر، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2018.

Review Article

The Concept of the Body in Contemporary Arab Visual Art

Assist Lect. Ihab Abdulrazzaq Yousif

General Directorate of Education in Babylon

Ministry of Education



Ihab985@yahoo.com

Keywords: The Body . Visual Art . Representations . Identity

Summary:

This article examines the concept of the body in contemporary Arab visual art, offering a critical perspective informed by previous studies. It argues that representations of the body are shaped by cultural and social constraints, turning the body into a symbol of repression, identity, and psychological tension. While earlier research focused on aesthetic aspects, deeper cultural and political meanings were often overlooked. The article views the body as a space of conflict and expression, and calls for multidimensional critical approaches to better understand identity and artistic resistance in the Arab context